أ ب ب

((الشباب في القرآن الكريم))

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

أيها الإخوة :هذه هي الخطبة الثانية في سلسلة **قضايا الشباب**، وسبق أن المراد بالشباب الذكور والإناث ممن هم بين سن البلوغ والأربعين.

كان عنوان الخطبة الأولى: **لماذا هذه السلسلة**.

وعنوان خطبة اليوم: **الشباب في القرآن الكريم**.

أيها الإخوة الشباب:

لأننا -نحن المسلمين- أصحابُ كتاب منزل, فنحن ننظر في قضايانا إلى الأعلى ولا ننظر فيها إلى الأسفل, ونتلقّى مبادئنا من حقائق القرآن، ولسنا نأخذها من نظريات الإنسان, وندرس أمورنا معتمدين على قوة السماء، ولسنا ندرسها متكئين على شهوات الأرض؛ لكل هذا ذهبتُ بادئَ ذي بدء في هذه السلسلة أبحث في القرآن الكريم عن الشباب, أبحث في تعاليم السماء عن الشباب, أبحث في الملأ الأعلى عن الشباب, فوجدت حديثاً طويلاً فيه عن الشباب, غير أني اخترت لكم مما قرأتُ آيةً واحدة ونموذجاً واحداً يسمح بها الوقت.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)﴾ [الروم:٥٤]

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ يعني: ضعف الجنين والوليد والطفل،﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ يعني: قوة الشباب.

وكلمة «ضعفٍ» لها قراءتان معتمدتان عند الحفاظ: «ضَعف» بفتح الضاد, «وضُعف» بضمِّها[1].قال بعضُ اللغويين: إن الضعف بالفتح: ما كان في العقل، وبالضم: ما كان في البدن[2][1], وبناءً عليه؛ فإن وصف القرآن الكريم الشباب بالقوة مراده قوةٌ في العقل, وقوةٌ في البدن.

---

(1) قرأ الجمهورُ بضمّ الضاد, إلا عاصماً وحمزة بالفتح, واختلِفَ عن حفصٍ؛ فرُوي أنه اختار الضمَّ خلافاً لعاصم, وقد صحّ عنه الفتح والضمّ. "النشر في القراءات العشر" 2/263-264.

(2) كما في "القاموس", و"اللسان" (ضعف) وغيرهما.

نعم أيها الإخوة، هكذا ينظر القرآن الكريم إلى الشباب فهم قوةٌ في البدن, وقوةٌ في العقل.

قوة في العقل تحمل همومَ الأمةِ الثِقال, وقوةٌ في البدن تعينه على تحقيق الآمال, ولا عجب في ذلك، فأصحاب الرسالات كلُّهم كانوا شباباً، صمدوا بمعونة الله, ثم بقوة عقولهم وأبدانهم أمام مغريات الحياة ومخاوفها؛ ليحققوا سعادة الإنسان على هذه الأرض.

أما أعداء المسلمين فإنهم أرادوا أن يصوروا الشاب أنه ضعيفٌ أمام شهواته، ضعيفٌ أمام إغراء المال والنساء، ينهار أمام كأسٍ وغانية، ويتساقط على أبواب الحانات والبارات.

كتب "محمد إقبال" فليسوف الإسلام يقول: (إني أتمنى للإسلام جيلاً جديداً من شباب القرآن, شبابه طاهر نقي, وضربه موجع قوي, إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشَّرى، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى, يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء.

إذا تكلم كان رقيقاً رفيقاً، وإذ جَدَّ في الطلب كان شديداً حفياً...

إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة, وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة...

يجمع بين جلال إيمان الصديق, وقوة عليّ, وزهد أبي ذر, وصدق سلمان، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء.

يُعْرَف في محيطه بحكمته وفِراسته، وبأذان السَّحَر، يقتنص النجوم, ويصطاد الأسود, ويباري الملائكة.

يرفع قيمته ويزيد في سعره حتى لا يستطيعَ أن يشتريه غير ربه).

الشباب في القرآن: قوة في العقل, وفي البدن, وفي الإيمان, وفي المبادئ.

أسرتِ الرومُ عبدَ الله بن حذافة السهمي صاحبَ رسول الله ﷺ فقال له الطاغية قيصر عظيم الروم: تنصّر وإلا ألقيتك في البقرة – والبقرة قِدرٌ من نحاس يوضع فيه زيت توقد عليه النار حتى يغلي – قال عبد الله: هيهات ... إن الموت لأحبُّ إلي ألف مرة مما تدعوني إليه.

فدعا بالبقرة ودعا برجلٍ من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى فألقاه في البقرة فإذا عظامه تلوح على مرأى من عبد الله.

فقال قيصر لعبد الله: تنصَّرْ.

فقال: ما أفعل! فأمر به أن يُلقى في البقرة، فبكى.

قال: رُدُّوه! قال عبد الله: لا تحسب أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي, ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يُفعَلُ بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كلِّ شعرة فيَّ ثم تُسَلَّط علي فتفعل بي هذا.

قال: فأعجب به الطاغية.

فقال له: تنصَّر وأزوجْكَ ابنتي وأقاسِمْك ملكي.

قال عبد الله: والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العجم على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفةَ عين ما رجعت.

قال الطاغية: قبّل رأسي وأُطلِقُك وأُطلِق معك ثمانين من المسلمين.

قال: أما هذه فنعم.

فقبَّل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين فلما قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام إليه عمر فقبل رأسه قال: فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون: قبلتَ رأس علج؟ فيقول لهم: أطلق الله بتلك القُبلة ثمانين من المسلمين[1].

قارنوا هذا مع هذه الحادثة:

رن هاتف المنزل في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، قمت مسرعاً, نحوه وإذا بشاب يسأل: هل أنت الأستاذ محمد خير؟

قلت: نعم. قال: يا أستاذ, أنا فلان الفلاني كنتُ معكم في المسجد في دروس القرآن من قبل سنواتٍ خمس وقد تركتكم، هل عرفتني.

قلت: نعم. – هو شاب في الثالثة والعشرين من عمره الآن – ثم قلت له: خيراً.

قال: أنا محتاج إليك جداً يا أستاذ، ثم راح يبكي! خفتُ عليه وظننتُ أنه في مشفى أو في سجن.

قلت خيراً: لا تخف سأكون معك وأساعدك, أين أنت الآن؟

قال: في المنزل, ولما قال ذلك طمأنني

قلت: خيراً ما الأمر؟

---

(1) أُسد الغابة في معرفة الصحابة" 3/213-214 عن" تاريخ دمشق" لابن عساكر 27/359-360 بنحوه. ورواه الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 2/14 و2/15موجزاً, وذكر أنه أطلق له ثلاث مئة أسير وأجازه بثلاثين ألف دينار, وثلاثين وصيفة, وثلاثين وصيف, ثم قال: ولعل هذا الملك قد أسلم سراً, ويدل على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة رضي الله عنه.

قال: أحببت فتاة وعلقت بها وأريد الزواج منها، أبي لا يوافقني, والفتاة ستخطب خلال هذين اليومين، أرجوك لا يوجد أحد يستطيع أن يقنع أبي إلا أنت، وعاد إلى البكاء.

طمأنته.. وهدّأت من روعه، وقلت: لا بأس, الآن الوقت متأخر جداً، اذهب إلى النوم وسنلتقي غداً الساعة الحادية عشرة ظهراً في المسجد. قال: نعم.

وفي اليوم التالي دخلت المسجد في الموعد المحدد وإذا به يراني فيسرع نحوي ثم يضمني كغريق أمسَك بمنقذه ثم يبكي، والله -أيها الإخوة- كاد أن يسقط أرضاً قلتُ له: اهدَأْ... الناسُ حولنا, فسكن ثم جلس.

قلت: حدثني مَن الفتاة؟ ماذا تدرس؟ مَنْ أبوها؟ ما دينها؟ ما خُلقُها؟ ما عمرها؟.

فإذا هي بائعة هوى أغرته بألحاظها, ثم ألفاظها, ثم رسائلها, ومكالماتها, وهي غير مناسبة أبداً عمراً, ولا خُلُقاً, ولا أسرةً, ولا علماً, ولا مكانةً.

وبالكاد وبعد جهد جهيدٍ مني ومن أسرته استطعنا صرفَهُ عنها, وصرفها عنه.

الشباب في القرآن قوة في العقل والبدن والإيمان والعزيمة.

هذه هي الآية التي اخترتها لكم من القرآن للحديث عن الشباب.

أما النموذج فهم جماعة من الشباب دعانا الله تعالى في قرآنه إلى التمثُّل بعملهم والأخذ بنهجهم، ولعلوِ شأنهم ورفيع مكانهم جعل الله قصتهم آياتٍ تتلى في القرآن إلى يوم القيامة, بل وتتلى في الجنة.

إنهم الفتيةُ أصحاب الكهف.

وقصتهم معروفة لديكم..... إنهم شبان من أبناء أشراف الروم ومُنْعَمِيْهم, هجروا عبادة الأصنام التي ابتلي بها قومُهم, وتركوا الموبقات التي ماج بها مجتمعهم، فأُرِيْدَ بهم السوء, ففَرُّوا بدينهم وهربوا إلى ربهم لا يلوون على لذائذ, ولا يلتفتون إلى شهوات, ولا يخافون لومة لائم, فكان أن ثبتهم الله تعالى وجعلهم آية للعالمين.

واستوقفني في هذا النموذج قول الله تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الكهف:١٣-١٤].

لما آمنوا زادهم هدى.

لما وفَّوا بعهد الله وفّى بعهدهم.

لما نصروا الله نصرهم الله.

لما أقبلوا على الله أقبل الله عليهم.

بل زادهم الله وربط على قلوبهم. قال المفسرون: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾: قويناها بالصبر فلم تزحزحها عواصفُ فراقِ الأوطان, وتركِ الأهل والنعيم والإخوان، ولم يزعجها الخوف من ملكهم الجبّار, ولم يرعها كثرةُ الكفار[1].

ولو أن فتية الكهف زاغوا لأزاغ الله قلوبهم, ولو أنهم نَسُوا الله لنسيهم, ولو أنهم مكروا لمكرَ بهم.

موظف في إحدى الدوائر، يراجعه المراجعون بكثرة يومياً يريد أن يأخذ منهم الرشوة لكنه يعلم أنها حرام, هداه شيطانه ومكره إلى أمرٍ؛ وضع على طاولته علبة من الأقلام الزرقاء لا تتجاوز قيمة القلم فيها الخمس ليرات سورية إذا جاءه المراجع قال الموظف: اشتري قلماً من هذه الأقلام لتكتب الطلب المرغوب.

يقول المراجع: إنه ليس بحاجة فعنده قلم: يقول الموظف: لا بد أن تشتري لأجل إتمام المعاملة! -حسناً، كم ثمن القلم؟

الموظف: مائة ليرة سورية.

يسأله صاحبه لمَ تفعل ذلك، يقول: يا أخي هذا بيع وشراء.

إن أهل الكهف - أيها الإخوة- اهتدوا فزادهم هدى وآتاهم تقواهم.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾

لا تقل: كَثُر الضلالَ، وازداد الباطل، وطغت الفتن، فإن مَن أراد الخير ناله، ومن أراد الشر أُعطيهُ.

قال يزيد بن ميسرة: إن الله تعالى يقول: أيها الشاب التارك شهوته لي، الباذل شبابه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي[1][2].

وعن شريح بن مسروق يرفعه: (ما من شاب يَدَعَ لذة الدنيا ولهوها، ويُعمل شبابَه لله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجرَ اثنين وسبعين صّديقاً)[1].

---

(1) "روح المعاني" للآلوسي15/218.

(1) أخرجه أبو نُعيم في "حلية الأولياء" 5/267 من قول يزيد بن ميسرة.

(2) أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" 4/138-139 عن شريح بن مسروق قال: حدّثني البدريون منهم عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ..... فذكره, قال: ثم قال: يقول الله تعالى: أيها الشاب التارك شهوته لي, المبتذل شبابه لي, أنت عندي كبعض ملائكتي. ثم قال أبو نعيم: غريبٌ من حديث شريح, تفرد به يحيى عن عبد الجبّار. قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" 4/241 برقم (4754):عبد الجبار بن وهب لا يُدرى من هو.

خلاصة هذه الخطبة أمران:

1- أنت أيها الشاب - كما في القرآن - قويٌّ فلا تَضْعُف، عزيز فلا تَذِلّ، كبير فلا تَصْغُر، قوي بالحق فلا تضعف، عزيز بالطاعة فلا تَذَلِ، كبير بالعلم والعمل فلا تصغر.

2- أنت أيها الشاب - كما في القرآن - إن تمسكت بالإسلام سيزيدك الله هدى وسيربط على قلبك.

والحمد لله رب العالمين